مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10/ العـدد: 01 (2022)، ص 1125- 1141

فلسفة التربية و التعليم عند الشيخ العلامة البشير الابراهيمي

د.ربوح لطيفة

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة- الجزائر.

تاريخ الاستلام: 2022/01/10 تاريخ القبول: 2022/01/13 تاريخ النشر:2022/01/23

الملخص:

لقي مجال التربية والتعليم الاهتمام والتركيز من قبل علماء عدة وباحثين كُثر، لا لشيء إلا لأن الجميع يُجزم على أهميتهما في نهضة الأمم والمجتمعات، فنظرة سريعة للدول المتطورة اقتصاديا على مستوى العالم وللحضارات السابقة، تجعلنا ندرك حقيقة هذا الأمر.

في هذا المقال سنتعرف على رجل عظيم من العظماء، أنجبته الجزائر ليكون من حماة تاريخها، دينها ولغتها، إنه العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله.

في هذه الورقة البحثية سيتم التعريف بأهم أفكاره وفلسفته في التربية والتعليم.

كيف ينظر للمثلث التعليمي بأقطابه الثلاثة، وما الذي يركز عليه حتى تحتفظ الجزائر بأصالتها وتصون تاريخها من الزيغ والتحريف؟

ما هي القيم التي يُطلب من المعلمين والعلماء تكريس الجهود من أجلها، لترسيخها في النفوس، وبناء واقع حديث من خلال التطوير والإصلاح في التربية والتعليم؟

الكلمات المفتاحية: البشير الابراهيمي، فلسفة التربية والتعليم، المثلث التعليمي، الإصلاح التربوي.

Abstract

The field of education has received a lot of attention and focus from many scholars and researchers. This is due to its importance in the advancement of nations and societies. Indeed, a quick look at developed countries in today's world and even in ancient times proves the value of education. For this, the present article deals with a renowned Algerian figure who wrote extensively about history, language, religion, and education: Sheikh Mohamed Bachir El-Ibrahimi. In this research paper, his major philosophical and educational contemplations are to be presented by highlighting how he viewed the didactic triangle with its three poles. We will also delve into his suggestions to preserve Algeria's history and retain its authenticity from alteration and distortion. Last but not least, this research piece will go through the values that Mohamed Bachir El-Ibrahimi deems essential to be inculcated by teachers on learners in order to improve and reform education as well as society.

Keywords

Mohamed Bachir El-Ibrahimi, philosophy of education, didactic triangle, educational reform

1.مقدمة:

ما من شك أن لكل أمة رواد وعلماء، نهضوا بها ورفعوا شأنها بين الأمم حفاظا على أصالتها وتاريخها من التحريف والتدنيس، والجزائر تزخر بالكثيرين منهم أمثال ابن باديس، العربي تبسي، الطيب العقبي، الفضيل الورتلاني، مالك بن نبي، مولود قاسم نايت بلقاسم وغيرهم كثيرون، حملوا على عاتقهم فكرة الإصلاح والدفاع عن الوطن ووحدة الأمة، ووضعُ معالم للتربية والتعليم تعتمد في ركائزها على العلم والأخلاق والنهضة الفكرية.

والبشير الابراهيمي رحمه الله جزء من هؤلاء العظماء، سطر مكانته بما تركه من إنجازات وآثار، تجعل من يبحث فيها محتارا بأي المجالات يهتم، فهو متعدد المواهب والقدرات، معروف بشخصيته القوية وكيف لا! وهو ينتمي لعائلة عريقة ومحبة للعلم والعلماء، انتهل منها من العلم والقيم ما جعله شخصية فذة ومميزة.

فكيف ينظر هذا العلامة للتربية والتعليم وما هي فلسفته فيها؟ كيف ينظر لدور كل من المعلم المتعلم وما بينهما (المثلث التعليمي) ما هي القيم التي يُطلب من المعلمين والعلماء تكريس الجهود من أجلها لترسيخها في النفوس، وبناء واقع حديث من خلال التطوير والإصلاح في التربية والتعليم؟

2.التعريف بالعلامة الشيخ البشير الابراهيمي:

ولد الشيخ رحمه الله عام 1889م بسطيف، وتوفي عام1965، وهو ليس ابن الجزائر فحسب بل عَلم من أعلام الإصلاح في العالم العربي والإسلامي، كان معروفا بفصاحته، محبا للغة العربية ومدافعا عنها لحد الاستماتة ضد ما حاكه المستدمر الفرنسي من خطط لإضعافها وطمسها.

كان العلامة حافظا لكتاب الله وهو في سن الثالثة، ومتقنا له ومفسرا لكلماته الصعبة في سن التاسعة، زيادة على حفظه لألفية ابن مالك، وألفية ابن معطي الجزائري، وألفيتي الحافظ العراقي في السير والأثر، ومطلعا على أمهات الكتب...(قرود أحمد، 2018، ص182)، الأمر الذي جعل منه إماما فصيحا، ناصحا وشاحذا للهمم، مقويا للعزائم، شاعرا وفيلسوفا ومفكرا، خصوصا بعد تاريخه الحافل بالإنجازات. امتهن مهنة التدريس وهو سن الرابعة عشر سافر لمصر والمدينة المنورة وسوريا...أين كان مدرسا وخطيبا وواعظا، تخرج على يده ثلة من المثقفين أولي الأذواق الرفيعة في تشرب منابع الأدب العربي، والتراث الإسلامي، كما تقلد العديد من المناصب الحساسة من نائب لجمعية العلماء المسلمين إلى رئيس

لها بعد وفاة العلامة عبد الحميد بن باديس...(للمزيد من التفاصيل عن حياته وآثاره الرجوع لما كتبه كل من (الابراهيمي أحمد طالب،1997، عمارة محمد، 2011).

والمعروف عن البشير الابراهيمي أنه لم يكن كباقي المؤلفين الذين يعتكفون لكتابة منجزاتهم بقدر اهتمامه بالعمل الميداني وترك الأثر في العقول والنفوس، حتى أنه أكد ذلك في آخر حياته بقوله: " لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا، ولكنني أتسلى بأنني ألفت للشعب رجالا، وعملت لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده، وصححت له دينه ولغته، فأصبح مسلما عربيا، وصححت له موازين إدراكه، فأصبح إنسانا أبيا، وحسبي هذا مقربا من رضى الرب ورضى الشعب " وهو بذلك كان مقتديا بالأمير عبد القادر الجزائري الذي كان لا يفصل بين العلم والعمل ولا يفرق بين النضال والتفكير(الابراهيمي طالب المرجع السابق، ص6)، ولأن الإمام كان يرتجل في ما يقول معظم الأحيان ولم يدون محاضراته، فإن القسم الأكبر من تراثه قد ضاع؛ بالرغم من ذلك ترك البشير الإبراهيمي العشرات من المؤلفات منها "شعب الإيمان (في الفضائل والأخلاق الاسلامية)"، و"حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام" و"الاطراد والشذوذ في العربية"، و"أسرار الضمائر العربية"، "النقابات والنفايات في لغة العرب"، "رواية كاهنة الأوراس"، "حكمة مشروعية الزكاة" وغيرها، وله "ملحمة شعرية" في تاريخ الإسلام، تضم نحو 36 ألف بيت وغيرها. كما طبعت مجموعة من مؤلفاته رحمه الله في خمسة مجلدات تحت عنوان "آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي" تضم 460 مقالة في كتاب الآثار، نُشر معظمها في جريدتي البصائر والشهاب، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ما بين سنتي 1931 سنة تأسيس الجمعية و1965سنة انتقال الإمام للرفيق الأعلى. (حمودة عبد الوهاب، 2009، ص5، 13-14)) محمد عمارة، مرجع سابق، ص14)

ونحن إذ نكتب عنه ونتحدث عن إنجازاته، لا لشيء إلا محاولة منا لتأكيد عبقرية هذا العالم الجليل السابق زمانهوعظمته، كما وصفه رفيقه في الكفاح الشيخ العربي التبسي رحمه الله، عندما قال عنه إنه فلتة من فلتات زمانه، وقال عنه الإمام عبد الحميد ابن باديس رحمه الله مفتخرا بخصاله "عجبت لشعب أنجب مثل البشير الإبراهيمي أن يضل في دين أو يُخزى في دنيا، أو يُذل لاستعمار" (محمد عمارة، المرجع نفسه، ص 16)

نكتب عنه لنعرّف به الأجيال القادمة، خاصة ونحن في حرب تجاوز فيها استعمال القنابل والعتاد الحربي، لمعركة ثقافية تقتل كل انتماء للدين وللوطن باسم التفتح، الحرية، والعولمة -ومسميات أخرى قد نجهلها-توسيعا للفجوة بين سلف كان بالأمس بطلا يحمل رسالة ومشروعا حضاريا، وخلف يُريدونه مغتربا ومتثاقفا، بعيدا عن أصالته ومنحازا لثقافة غيره، يسير وراء شهواته، وينقاد لمخططات حيكت ضده.

هذا الأمر حذر منه الإمام الشيخ في العديد من الكتابات عندما تحدث عن أن المستدمر رغم أنه خرج من الأرض إلا أنه مازال فيها فيقول " الاستعمار خرج من أرضكم لكنه لم يخرج من مصالح أرضكم ولم يخرج من ألسنتكم، ولم يخرج من قلوب بعضكم، فلا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه..."(حمودة عبد الوهاب، المرجع السابق، ص7)

3.فلسفة التربية والتعليم عند العلامة البشير الابراهيمي :

عندما نتحدث عن التربية عند العلامة البشير الابراهيمي رحمه الله، ندرك أنها امتداد لمبادئ جمعية العلماء المسلمين التي استنبط منها مرجعيته الفكرية والمعرفية، المأخوذة من الأصل القرآني والوحي النبوي.

فالتربية بالنسبة له مشروع حضاري رصين، قوي البنيان، فهو رحمه الله يربط التربية- بعدها التعليم - بنهضة الأمة، وحل هموم العالم الإسلامي، لهذا

نجده يقدمها، ويعتبرها سلاحا لا نظير له للحفاظ على الثوابت، واعتبرها نهجا وجب سلكه للوصول للغايات والمقاصد، وعمل جاهدا مع العلامة عبد الحميد بن باديس، وأعضاء جمعية العلماء المسلمين على مقاومة الاستدمار الفرنسي من خلال التربية والتعليم، لصد ما نشره المستدمر من قمع وجهل، وتفقير بهدف الفرنسة والتنصير، وما حاكه من خطط للهيمنة والإذلال، فعمد ورفيق دربه العلامة عبد الحميد بن باديس من خلال الجمعية لإقامة المدارس وتأسيس النوادي والجمعيات، واستغلال المساجد لإحياء اللغة العربية وتعميم نشرها في ربوع الجزائر وغرس قواعد الدين الإسلامي، وتحفيظ القرآن الكريم وإحياء السنة النبوية.

1.3 التربية والتعليم مشروع حضاري واجتماعي:

لا يمكن الحديث عن التربية والتعليم عند الشيخ الابراهيمي، دون الحديث عن المشروع الحضاري للأمة المرتبط بالقرآن المتواتر والسنة الصحيحة، وبفهم السلف كعمل إصلاحي أولي بين الأمة وقرآنها، وهو في هذا الشأن يرى أن عزة المسلمين في اتحادهم وتماسكم بثوابتهم (الدين، اللغة، والوطن) فهي مصدر قوتهم وعزوتهم، والوصول لهذا المبتغى يكون بالتربية التي تؤصل لهذه الغايات دفاعا عن وحدة الأمة، لمواجهة أي اعتداء أجنبي خاصة في ظل الظروف الحرجة التي كانت تعيشها الجزائر إبان المستدمر الفرنسي.

ويخاطب الشيخ رحمه الله الأمة متفائلا ليقول "لا تيأسوا مادام الإسلامُ عقيدةً وشعائر، وقرآنًا وحديثًا، وقبلة واحدةً، فالمسلمون كلهم أمّة واحدةً، وما دامت اللّغة العربيّة لسانًا وبيانًا وتُرجمانًا فالعرب كلهم أمّة واحدة، كل ذلك كما أراد القدر المقدور، والطّبيعة المطبوعة، والأعراق المتواصلة، والأرحام المتشابكة، فلا) إسلام جزائري) كما تريد ولا (عنصرية بربرية) كما تشاء". بل الاسلام قاض، بل وقضى أن يُعز الأمة بما أودع الله فيه من صدق المقال ورونق الحق والبيان،

وصدق الأخبار، ونفحات الرحمن، ويستطرد قائلا إن هذه الأمة قوية بعددها، وبالمعاني التّي استيقظت فيها، وبإيمانها بحقّها، وبتصميمها على استرجاعه فلا تضيعوا حقوقكم بينكم بالتفرق شيعا وأحزابا فتذهب ريحكم، وتضيع أسسكم من إسلام وعربية وثقافة تخصكم، وأن الأصالة والتمسك بالثوابت لا يتعارض مع التجديد، وأنه يجب ألا نفصل بين الماضي، والحاضر، والمستقبل، فهدف تربية الأمة هو الخَلوص بها إلى إسلامها الذي اختاره لها ربُّها الله تعالى، ذلك أننا أمة أعزّها الله بالإسلام، ومن ابتغى العزة في غير ما اختار الله لها، أذلّه الله ولو بعد حين. (علي يطو، 2015، ص. 231-236)، وقد أكد الشيخ في مساره النضالي على أهمية تربية الأمة في ظل الإسلام وأخلاق العرب، فهمّ من خلال جمعية العلماء المسلمين لإرجاع ركائز الهوية للأمة (الدين، واللغة، الوطن) معتقدا أنها أولى أُسُسِ التّربية.

فقد صرح الشيخ محمد البشير الابراهيمي أن جمعية العلماء المسلمين أسست لغايتين شريفتين هما: إحياء مجد الدين الإسلامي، ومجد اللغة العربية التي يُنظر إليها بقدسية واعتزاز كيف لا وهي لغة القرآن الكريم. (الابراهيمي أحمد طالب، المرجع السابق،1997 ،(133

هذا ويمكننا أن نلخص في فلسفته التربوية لنقول، إنه رحمه الله يعتبر التربية قبل التعليم، من العناصر التي تطهّر المجتمعات وتخلّص العقول من الخرافات والشركيات، ومما زرعه المستدمر من بدع ومقدسات لغير الله، في شباب الأمة بالحرص على اتباع كلام الله وسنة رسوله الكريم.

2.3 المثلث التعليمي:

معروف في الأدب التربوي أن المثلث التعليمي والذي يُنسب (Chevallard y,). في الكتابات الأجنبية يرتكز على العناصر الأساسية للعملية التربوية، من معلم ومتعلم ومعرفة (منهاج)، فعندما نخوض في الحديث عن العلاقة بين المتعلم

والمعلم فإننا نستعرض العلاقة البيداغوجية بينهما، وعندما نربط المتعلم بالمعرفة، فإنا نرجع لعملية التعلم وما يسفر عنها من عمليات معرفية، بينما الحديث عن العلاقة بين المعلم والمعرفة يجرنا للحديث عن التعليمية وما يصطلح عليه الآن "الديداكتيك"، هذا ومع التطورات التكنولوجية الحديثة أُدرج ما يسمى بالسيناريو البيداغوجي ليتحول بذلك المثلث لمربع تعليمي قوامه الرقمنة.

فالتعليمية في اللغة العربية حسب الباحث الجزائري رحمه الله حنفي بن عيسى مشتقة من مصدر كلمة تعليم، فهي مشتقة من علّم أي وضع سمة أي علامة.

ومن الناحية الاصطلاحية فهي تؤسس لنظرية التعليم، تدرس القوانين العامة للتعليم بغض النظر عن محتوى مختلف المواد، فموضوعها هو النشاط التعليمي، أي نشاط التعليم والتعلم في ترابطهما وفق القوانين العملية التعليمية ذاتها. (حثربي محمد الصالح، دت، 651)

ويذهب محمد الدريج، إلى أ ن المقصود من الديداكتيك أو ما يسميه هو بعلم التدريس بأنه: " الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته، وأشكال تنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ قصد بلوغ الأهداف المنشودة، سواء على المستوى العقلي أو الوجداني أو الحسي الحركي" (الدريج محمد،2003، ص1).

فهي العملية التي تركز على مجموع الطرائق والأفكار، والأدوات التي تستهدف مساعدة المعلمين على تنظيم تعليمهم من أجل ممارسات مهنية أفضل، ونقل المعرفة وبنائها من طرف المتعلم.

التعليمية علم حديث قديم أُسس له مند القدم، وليس كما زعم الغرب أنه من تأسيسهم، فحسب (جاسم علي جاسم2013) العرب هم المنظرون الأوائل لهذا العلم منذ أيام الخليل وسيبويه، الكساني، بل أن الجاحظ هو مؤسسه بلا منازع، حذا الغربيون حذوه واستناروا بآرائه ومبادئه وأكدوا نتائجه

التي وصل إليها في أبحاثه منذ أكثر من 1200سنة. (بوحساين نصر الدين، عروة فتيحة، 2021، 469)

عندما نتطرق للمثلث التعليمي عند عالمنا الجليل فإننا سنخوض في الخطط والوصايا التي حدد بها العلامة العلاقة بين عناصرها الثلاث، وفيما يلي تحليل لأهم ما جاد به علينا في هذا المجال:

3. 2. 1 المعلم:

يلقبه شيخنا الفاضل بالبطل، ويضعه في مرتبة العلماء، وقد جاء في مقالته التي كتبها للمعلمين في جريدة البصائر في فيفري 1949 وصفٌ عميق لهم، مع خصهم بمكانة لم يحظ بها أحد قط؛ فالعلامة هنا يريد أن يعي المعلمون حجم ما سيقع عليهم من مسئولية، لأنهم " في زمن كرسي المعلمين فيه أجدى علم على الأمم من عروش الملوك، وأعود عليها بالخير والمنفعة" ولأنهم " يجلسون من كراسي التعليم على عروش ممالك، رعاياها أطفال الأمة «(حمودة عبد الوهاب، المرجع السابق، ص85)

هذا التعبير البليغ، الصادق، يجعلنا نلتمس ونستشعر بصدق، مكانة المعلم والتكليف الملزم به، فهو جزء لا يتجزأ من الأمة، ولن أبالغ إن قلت "إنه الأمة " كلها كيف لا وهو يرعى رجال الغد، ويبني عقولهم، ويغذي نفوسهم بما يلقيه عليهم من طمأنينة وقوة وعزيمة.

ما كتبه العلامة الشيخ، يجعلنا نشعر كأساتذة بعظمة هذه المهنة، وبقيمتنا في البناء الفكري والمجتمعي، وما أحوجنا لهذا النوع من الخطاب في زمن أصبح فيه الأستاذ يُهان ويُستصغر.

ولم يكتف العلامة بتعظيم مهنة التدريس، بل حدد مهارات تدريسية، ووضع أُسسا وشروطا للعلاقة البيداغوجية والنفسية بين المعلم والمتعلم، فالمعلم حسبه لا بد أن يتحلى بالأمانة، وأن يأخذ الأطفال بالرفق واللين ويتدرج معهم من

البسيط إلى المركب؛ فيخاطبهم قائلا لذلك أيها المعلمون "سوسوهم بالرفق والإحسان، وتدرجوا بهم من مرحلة كاملة في التربية إلى مرحلة أكمل، إنهم أمانة الله عندكم، وودائع الأمة بين أيديكم سلَمتهم إليكم أطفالا لترودوهم إليها رجالا"، "إنكم رعاة وإنكم مسؤولون عن رعيتكم" كما أكد الإبراهيمي على الرفق واللين وحسن المعاملة والبعد عن العنف والتشدد؛ " فمن الطباع اللازمة للأطفال أنهم يحبون من يتحبب إليهم، ويميلون إلى من يحسن إليهم، ويأنسون بمن يعاملهم بالرفق يقابلهم بالبشاشة، والبشر للوصول إلى نفوسهم من أقرب طريق، ويتحبب إليهم، ويقابلهم بوجه متهلل، يبادلهم التحية ويسأل عن أحوالهم... فإذا أحبوه أطاعوه وامتثلوا أمره، وتمكن من حملهم على الاستقامة وطبعهم على الخير والفضيلة، أما الخوف والترهيب فيفسد الجيل ويغرس فيه الرذائل ويحمل الأطفال على الكذب والنفاق والجبن، فيفرون من العلم والقراءة.

كما دعا إلى ضرورة إصلاح الأنفس من داء الانانية، وأكد على ضرورة أن يكون المعلم قدوة لمتعلميه فيخاطبهم قائلا "احرصوا على أن يكون ما تلقونه لتلامذتكم من الأقوال، منطبقا على ما يرونه ويشهدونه منكم من الأعمال، فإن الناشئ الصغير مرهف الحس، طلعة إلى هذه الدقائق التي تغفلون عنها... وإنه قوي لإدراك المعايب"

يقول شيخنا الفاضل مخاطبا المعلمين ومحددا علاقتهم بالمتعلمين: "أنتم حراس هذا الجيل، والمؤتمنون عليه والقوامون على بنائه، فابنوا عقوله على أساس من الحقيقة، وابنوا نفوسه على صخرة من الفضائل الإنسانية ... ربوهم على استخدام المواهب الفطرية، وعلى صدق التصور، وصحة الإدراك ودقة الملاحظة.» (الابراهيمي طالب، المرجع السابق، 272)

ثم يواصل حديثه معهم ليقول" احرصوا على أن تكون التربية قبل التعليم، واجعلوا الحقيقة الآتية نصب أعينكم، وهي أنّ الجيل الذي أنتم منه لم يؤت في

خيبته من نقص العلم، وإنّما خاب أكثر ما خاب من نقص الأخلاق". (طالب الابراهيمي، المرجع السابق، 264)، فالتركيز يكون على الآداب والأخلاق، وبناء الأفكار والاتجاهات، وضمان النموذج القدوة ...، كما أكد على التدرج في التعليم من السهل للمعقد، مع مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، والاهتمام بالجانب التطبيقي للنظريات وعدم التركيز على الجانب النظري مع التجديد في محتويات المادة التعليمية وفق المستجدات العلمية، مطالبا المعلم أن يكون كثير المطالعة والثقافة. (الإبراهيمي محمد البشير، المرجع السابق، ص272).

وفي هذا الصدد نستشهد بدراسة ميدانية في إطار مذكرة ماستر، أنجزت بالجزائر، عن الإمام البشير الابراهيمي موسومة بـ "التزام الأساتذة بالمهارات التدريسية المطلوب توفرها في الأستاذ من وجهة نظرهم" –تراث الشيخ الإبراهيمي مرجعا- قد هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى ممارسة أساتذة التعليم المتوسط للمهارات التدريسية الواردة في تراث الشيخ، بعد بناء مقياس لهذه المهارات مستخلصا من التراث التربوي للإبراهيمي، وقد دلت النتائج على أن الأساتذة ملتزمون بهذه المهارات وفق الترتيب الآتي، مهارات مرتبطة بأخلاقيات المهنة في المقام الأول، فمهارات التخطيط والتنفيذ ثانيا، وفي الأخير مهارات القيادة والإدارة الصفية، مع وجود فروق في هذه المهارات ترجع لمتغير الجنس لصالح الإناث، ولصالح الاقدمية في المهنة.(موسى عائشة، 2020).

3. 2. 2 المتعلم:

في المقالة الثانية لجريدة البصائر، نجد العلامة البشير الابراهيمي، يخط نهجا للمتعلم، ويُعرّف به، بأسلوب جميل وعذب نفهم من خلاله إلمامه بالنظريات النفسية، ما يجعلنا نعتبره من الرواد السيكولوجيين الذين طالبوا بعدم التركيز على حشو أدمغة المتعلمين بالمعارف، وصبها عليهم صبا، فالأهم بالنسبة إليه هو الأثر الذي يحدثه العلم المكتسب على المتعلم، وما يتركه من إعمال للعقل والتدبر

في القضايا المكتسبة، فهو يحث المتعلم على الاستدلال العقلي، داعيا بحرارة إلى نبذ التلقي الأعمى، والتمسك باعتقاد متفتح قائم على الغربلة والشك والتفكير.

وقد اتفق مع العلامة ابن باديس في هذا الشأن في أنه ينبغي التركيز على تربية الفكر الصحيح، ولو مع علم قليل (طالب الابراهيمي، المرجع السابق، ص280).

عندما يخاطب الشيخ الابراهيمي الطلاب تكون كمخاطبة الآباء للأبناء، فيقول لهم، "إنكم يا أبنائنا مناط آمالنا ومستودع أمانينا، نعدكم لحمل الأمانة الثقيلة لاستحقاق الإرث"، فيطالبهم بضرورة طلب العلم وإنفاق الدقائق والساعات في تحصيله، وأن يعكفوا للحصول عليه وأخده من أفواه الرجال، وبطون الكتب، مع البحث والمطالعة وكثرة المناظرة والمراجعة دون الاقتصار على الكتب المقررة، وأن يَصلوا سواد الليل ببياض النهار... فالقوة في العمل لن تكون إلا بالقوة في العلم. (حمودة عبد الوهاب، المرجع السابق، 78-81)

المتتبع لما جاء به الابراهيمي عند حديثه عن المتعلم، يدرك وعيه التام بضرورة اعتناء الكبار بالطفل منذ الصغر، وممن هم مسؤولون عنه حتى ينهل منهم القيم والسلوك القويم، إلى أن يشتد عوده ويصبح بدوره مسؤولا عن تعلماته، وعن دوره في تغيير مسار الأمة عندما تقتضي الحاجة، فهو يرى المتعلم نشطا، مجتهدا، وناقدا يطالب بحقوقه ويؤدي واجباته، أمر توصلت إليه الدراسات التعليمية الحديثة في السنوات القليلة الماضية.

3. 2. 2 المنهج:

المنهج بالنسبة للشيخ البشير الابراهيمي، هو السبيل الذي من خلاله يسطر برنامجه الإصلاحي، وهو من أهم عناصر الفعل التعليمي، إذ يشتمل المحتوى المطلوب تدريسه للمتعلم، الذي به تُحمل الغايات والأهداف التي تعنى بها المجتمعات، وشيخنا ذهب أبعد من هذا الأمر فلم يركز على المحتوى المعرفي

فحسب (والذي كان ركيزة المناهج التعليمية التقليدية) بل تعداها لمجموع الخبرات التي يكتسبها المتعلم داخل الصف وخارجه، من خلال استعداد المتعلم للتعامل مع التغيرات المجتمعية والعلمية، وضرورة أن تعتمد المناهج على فهم سيكولوجية المتعلم مع مراعاة فروقه الفردية.

وبالرجوع للتعاريف الحديثة حول المنهج نجد أنها تطابق ما قاله الشيخ الابراهيمي في آثاره، فهو فعلا سابق عصره بنظرته الثاقبة والدقيقة للأمور.

فقد عرف شوقي حساني محمود المنهج التربوي قائلا" هو جميع الخبرات (النشاطات والممارسات) المخططة التي توفرها المدرسة لمساعدة التلاميذ على تحقيق العوائد التعليمية المنشودة إلى أفضل ما تستطيعه قدراتهم، وهو يشمل الأنشطة الصفية واللاصفية". (حساني شوقي حسن، 2009، ص25)

كتب الشيخ في مطلع العقد الرابع من هذا القرن في مجلة الشهاب مقالة، أفضى به الحديث فيها إلى ذكر التعليم العربي في الجزائر قبل الحركة الإصلاحية، أنه كان يُعتمد في العلاقة التربوية بين مكونات المثلث الديداكتيكي، على الانصياع الأعمى والنفاق الأشقى، أو التبلد الذي كان يسود بينهما، فلا الشيخ كان قادرا على مناقشة كتابه الذي كان يستمد منه معارفه التي يبثها بين طلابه، ولا طلابه نتيجة لذلك، كانوا قادرين على مناقشة شيخهم فيما يقرره لهم من تلك المعارف، فكان الجمود الفكري هو السائد في التعليم الأصلي في الجزائر قبل ظهور الحركة الإصلاحية، كما عاب على المقلدين رفضهم فكرة أن الاجتهاد أمر صعب المنال، وحكرا على القدامى وحدهم، واعتبار أن كل من حاول الاجتهاد في فروع الدين مبتدع، وبذلك أوصدوا باب هذا الاجتهاد وأيأسوا منه أهل زمانهم.

وقد ذهب العلامة البشير الابراهيمي إلى أبعد من هذا وتخطى حدود الجزائر، فانتقد مناهج الزيتونة بتونس وطرق تدريس أساتذته، لما فيها من خلل يحتاج إلى إصلاح، ونقائص يجب أن تعالج، فعالمنا الجليل لم يكن يركز على حشو المعارف، وكثرتها، ويرى من الجُرم تضييع أوقات الشباب في تلقينهم علوما تقليدية،

ومعلومات بالية، وفي المقابل نجد الغرب يلقنون علوما عصرية ونافعة، تتميز بالإتقان الشديد، والنظام الصارم والجد المتواصل، وهي خصائص أجدر أن تكون ضمن ميزات التربية عندنا على حد تعبير الابراهيمي، كما كان يرفض مبدأ المثالية في التعليم، أي طلب العلم للعلم بعيدا عن الاحتياجات الدنيوية والتنكر لها، ورفض أن يطلب العلم لله وحده لأنه اعتبر الامر رهبانية، والربانية لا مكانة لها في الإسلام(عبد المالك مرتاض، 1984،ص 36- 38)

ووجب حسب الابراهيمي انتقاء نوع المعرفة التي تبرمج للمتعلم، ونوعية محتواها، وعيا منه بما خطط له المستدمر الفرنسي من ترسيخ لتفاهة المحتوى التعليمي المُعد للجزائريين، وتكذيب لمحتواه التاريخي الذي كان يعتبر الجزائر جزءا من فرنسا، واللغة الفرنسية نافذة للتحضر والتمدن، في حين مُنع التحدث باللغة العربية حتى في أروقة المدارس.

هذا ويمكننا أن نستخلص مما سبق أن بناء فلسفة تربوية واضحة حسب الابراهيمي، تتطلب تخطيطا وسياسة محكمة للنهوض بالأمة، والحفاظ على ثوابتها، وتحريرها من الجهل والضلالات والبدع، بفضل العلم والعلماء، لتكريس ما جاء في القرآن الكريم وفي سنة نبيه.

4.الخاتمة

في ختام ورقتنا البحثية، وبعد اطلاعنا على آثار هذا الرجل العظيم، ندرك فعلا أننا أمام شخصية غير عادية، شخصية وصفها الكثيرون ولم يعطوها حقها، فقد قال عنه -على سبيل المثال لا الحصر -الأستاذ منصور فهمي عندما استمع إلى محاضراته، إنه لم يسمع ولم ير في حياته، من هو أفصح وأبلغ من الشيخ الابراهيمي، ودعا جميع الأدباء والعلماء في الوطن العربي إلى أن يلقوا إليه مقاليد اللغة والبيان، ثم خاطب الشيخ قائلا: "أنت ملك العربية لهذا العصر، ملكت ناصيتها ونواصيها"(عبد الوهاب حمودة، المرجع السابق، 8)

هذا في جانب اللغة، أما في الجانب التربوي فقد سبق المنظرين المعاصرين عند حديثه عن العملية التعليمية التعلمية، فخطط للفعل التعليمي وللمنهج، وسنّ جملة من المهارات المطلوب توافرها عند الأستاذ من كفاءات شخصية، لمهارات وكفاءات مهنية، تحدث عن المنهاج وكيف يجب أن يُصاغ، وعن المتعلم واصفا خصائصه بدقة، مع التأكيد على ضرورة مراعاة نفسيته وتشجيعه على التعلم، لينمو واثقا ومحبا للعلم...

آثار الابراهيمي التربوية ربطت بين كل عناصر المثلث الديداكتيكي (معلم، متعلم، منهج)، لتؤكد أن تداخلها وتكاملها مع بعضها البعض، حتمية وجب مراعاتها عند البحث في التطوير والإصلاح .

وفي الختام أرى أنه واجب علينا أن نُطالب بإدراج آثاره بمختلف مجالاتها، ضمن المناهج التربوية لتُدرّس ولتقتدي بها الأجيال القادمة.

المراجع

-الابراهيمي أحمد طالب، (1997)، آثار البشير الابراهيمي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1 الجزء 3، بيروت.

-الابراهيمي أحمد طالب: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي -هذه الآثار وتاريخ الجزائر -المكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org/book/32540/8#p3 الجمعة 07-1-2021 ال11 ليلا .

-الإبراهيمي محمد البشير(1949) كتاب آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، العدد 94 من جريدة «البصائر»،7نوفمبر، الجزء الخامس، المكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org/book/32540/1435.

-الدريج محمد(2003)، مدخل إلى علم التدريس، دار الكتاب الجامعي، ط1، العين.

-بوحساين نصر الدين، عروة فتيحة(2021) أقطاب المثلث الديداكتيكي في التراث الجزائري؛ قراءة في تراث إمامي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين -عبد الحميد ابن باديس ومحمد البشير الابراهيمي-، مجلة التواصلية، المجلد 4 العدد 1، ديسمبر، جامعة يحي فارس المدية، ص ص462-492.

-حثروبي محمد الصالح، (دت)، الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر.

-حساني شوقي حسن محمود(2009) تطوير المناهج رؤية معاصرة، الناشر المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، ج.م.ع.

- حمودة عبد الوهاب (2009)، مقتطفات من آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، كتاب عن اليوم الدراسي "الإمام البشير الابراهيمي منور الأذهان وفارس البيان"، 01-06، المجلس الأعلى للغة العربية، دار الخلدونية للطباعة والنشر، الجزائر.

-عبد المالك مرتاض(1984)، أعلام الثقافة والعلوم محمد البشير الإبراهيمي(1889-1965)، وزارة الثقافة والعلوم للسياحة الجزائر

-عمارة محمد(2011)، الشيخ البشير الابراهيمي إمام في مدرسة الأئمة، ط 1، دار السلام، مصر.

-قرود أحمد(2018)، مظاهر الفكر التربوي الإصلاحي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي كنموذج، مجلة الباحث للعلوم الرياضية والاجتماعية، العدد السادس، جامعة الجلفة ص ص 181-190.

-موسى عائشة(2019-2020) "التزام الأساتذة بالمهارات التدريسية المطلوب توفرها في الأستاذ من وجهة نظرهم" -تراث الشيخ الإبراهيمي مرجعا-رسالة ماستر، تخصص تصميم وبناء المناهج والتقويم، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر

-يطو علي (2015)، تربية الأمة عند العلامة محمد البشير الابراهيمي، مجلة نقد وتنوير، مقاربات نقدية في التربية والمجتمع، تصدر عن مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية، العدد الثاني، سبتمبر-ديسمبر ص ص 229-246